



مركز البحوث الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نمف الشهرى

تحليل للتطورات السياسية
والأمنية فى «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com



**مركز الدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية**

تحليل نصف شهري للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

- 1 إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمم.
- 2 الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.
- 3 بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.
- 4 إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

الحرب على الوعي في الجبهة اللبنانية

1- مدخل:

يعتبر لبنان بامتياز أجمل بلد عربي، قطعة من الطبيعة الساحرة الممتدة بكامل قامتها على فضاء البحر، وقد تأمر عليه إخوته العرب ورموه في قاع الجُبِّ (تماما كما فعل إخوة سيدنا يوسف)، وجاءوا إلى أبيهم يعقوب (بالدم المكذوب على قميصه المسلوب، وسولت لهم أنفسهم أمرا، وتصوروا أنهم تركوا الفتى النبي الأجل لمصائر موت محتوم تخيلوها أو تمنوها .وكما لم يمت سيدنا يوسف) ع بخسة إخوته، فلن يموت لبنان بإذن الله لما يملكه من خزائن أبطال مجاهدين أتقياء أنقياء من نوع فريد، هم أعلى قيمة بما لا يتصور من خزائن ملوك البترو -دولار، وقد صنعوا لأمتهم عزة ومجداً، لا ترقى إليه رقاب الذين يحاصرونهم اليوم، وينتظرون خبر هلاكهم وهلاك هذا الوطن الصغير والمميز الذي انتصر بدماء بعض أهله الاعزاء على جبروت العدو الإسرائيلي وحلفائه العملاء، ومرغ أنف قوات الاحتلال في التراب، وأرغمها على الانسحاب ذليلة من الجنوب اللبناني، ومن دون توقيع صك اعتراف، ولا تورط في اتفاقات تطبيع مدنسة.

ان شرف لبنان وعزته وكبرياهه هي تهمة عند إخوته الأغنى مالا والأخس نفساً، وقد حبسوا هذا المال عنه رغبة في سحقه وإفقار شعبه، والتلذذ بمناظر مآسيه، وبدفع عربون «محبة لسيدتهم اميركا وعزيتهم إسرائيل، وكأن المطلوب هو معاقبة اللبنانيين جميعا، وإلى حد الإفناء، لسبب مكشوف ومعلن، هو أن بعض اللبنانيين تجرأوا على محاربة الاستكبار واذلاله، وهم يريدون الآن أن يحاربوا» حزب الله «خدمة لأمريكا وإسرائيل، وكأن سلاح» حزب الله «هو الذي صنع أزمات لبنان الاقتصادية والمالية والاجتماعية والسياسية، وليس أمراء الطوائف الفاسدون المدللون عند ملوك البترول وسيدتهم اميركا، ممن لا يعرفون أخوة دم، بل أحلوا محلها أخوة المعسكر الأمريكي الإسرائيلي المجرم، فأمریکا عندهم هي الرب المعبود، والبيت الأبيض «لا المسجد الأقصى هو أولى القبلتين، والتحالف الضمني مع إسرائيل هو دين العصر العربي الأثيم، وفيما هم لا يذكرون كلمة

«العروبة إلا بالتضاد مع نفوذ إيران الفارسي كما يزعمون فإنهم لا يذكرونها أبداً في مقام التناقض الأوجب مع إسرائيل، التي تحتل وتستوطن بلداً عربياً كاملاً، لم يعودوا يذكرون اسمه إلا في مقام الإنكار والاستهزاء. إن إسرائيل الكيان، أو إسرائيل الدولة كما يسمونها، تقدم نفسها على أنها "دولة عظمى" في المقاييس الإقليمية، وهكذا يشهد لها بعض الأعداء والأصدقاء. لكن إسرائيل هذه، برغم جبروتها العسكري، تكابد منذ نحو عقدين من الزمن عقدةً نفسية، أصابت منها مقتلاً لماً تبرأ منه بعد، حيث وصفها سماحة الأمين العام لحزب الله، السيد حسن نصر الله، في خطاب التحرير في بنت جبيل قبل عشرين عاماً بأنها "أوهن من بيت العنكبوت". والعبارة نفسها تحولت إلى نظرية إسرائيلية، تعني، بحسب موشيه يعالون، قائد الأركان ووزير الحرب السابق، طرْحاً يتلخص في التالي: «إسرائيل دولة قوية عسكرياً، لكن مجتمعها المدني هو مجتمع رفاهية مدلل غير مستعد للقتال. وفي مقابل قوة الجيش الإسرائيلي وتفوقه التكنولوجي والاستراتيجي، لا يبدي الجمهور الإسرائيلي استعداداً للتضحية بحياة أبنائه من أجل الدفاع عن مصالحه القومية وأهدافه الوطنية. لذلك، فإن إسرائيل مثل بيت العنكبوت، تبدو قوية من الخارج، لكن عندما تلمسها تتفكك» (هآرتس، 28/2/2002).

في مقابل الواقع العربي الرجعي والمزري تمتلك نخبة من الشعب اللبناني خزائن مترعة من الوعي والخبرة والتجربة، والشغف الفطري بالحياة والحرية، كقيلة يجعل هذا الوطن الصغير يعبر المحنة تلو الأخرى التي للعرب نصيب دائم فيها، ولو كان هؤلاء عرباً كما يزعمون لتذكروا معاداة إسرائيل قبل الدخول في معاداة إيران، التي انفقوا المليارات على تكفيرها وتكفير الشيعة، ومن قبلها على تكفير دعوة القومية العربية بزعامة عبد الناصر، وتفجير المشروع القومي العربي من داخله ومن خارجه. ومع إجهاض المشروع القومي بعد ما جرى في مصر عقب انتصار تشرين الأول 1973، لم يعد من بديل سوى مشاريع الطوائف واليمين الديني، وقد دفع فيها هؤلاء مئات مليارات الدولارات، لا لشيء، سوى أن أمريكا تريد ذلك ومعها إسرائيل، في حين أن «حزب الله» وحده هو الذي حارب إسرائيل مرات عديدة، وحارب أيضاً جماعات التكفير والقتل، التي شربت ولم تترتو بعد من دماء الأبرياء من السوريين واللبنانيين والناس اجمعين. وهؤلاء هم انفسهم الذين شاركوا بمليارات الدولارات في عملية تحطيم سوريا، إضافة للأطراف الإقليمية والدولية المتدخلة في المشهد الإقليمي، وهذه قصة دامية بتفاصيل مفزعة لا تبرر كل هذا التربص بلبنان، ولا الامتناع الخليجي عن دعمه في أزمتة الاقتصادية والاجتماعية الطاحنة، ولا هذا التساوق والتطابق مع رغبات وأولويات أمريكا وإسرائيل، وجعل

القضاء على» حزب الله «المجاهد والمقاوم هو القضية .وليس شقاء غالب اللبنانيين اليوم، وعذابهم المتفاقم في بطولة البقاء على قيد الحياة، وتردي نصف الشعب اللبناني إلى هاوية ما تحت خط الفقر، إلى حد صار العيش معه شبه مستحيل، مع انهيارات يومية متسارعة في قيمة الليرة اللبنانية، وتوحش فساد أمراء الطوائف، الذين يحظون بمحبة ملوك البترو -دولار، وبالاندفاعات المالية الغزيرة، الموجهة في غالبيتها لتجريف وتزوير غضب الشعب اللبناني، وجعل بوصلته موجهة ضد سلاح» حزب الله «وليس ضد الإفقار وهيمنة الفاسدين السارقين، بدعوى محاربة إيران وحليفها» حزب الله .«ولو كان هؤلاء يفقهون ما يقولون، ولو كانوا حقا يحرصون على عروبة لبنان كما يزعمون لفعلوا العكس تماما، وسارعوا لنجدة لبنان، وكسبوا للعروبة أرضا بالأأيادي البيضاء على حساب نفوذ أميركا واسرائيل، لكنها قلوب سوداء عليها أفعالها، تفضل أن تذهب بمئات مليارات الدولارات إلى خزائن أميركا واسرائيل، لا أن تدفع فلساً واحداً من هذه المليارات لبلد عربي يعاني في غرفة الإنعاش، لا لسبب، إلا لأن ذلك عين ما تريده أميركا، وتريده إسرائيل من باب أولى، والأخيرة تعرف خطر قوة» حزب الله «المتنامية على وجودها، ولا ترى خطراً أكبر منه على جبهتها الشمالية، وجربت حروبا لإفناء سلاحه، دونما نجاح مرارا وتكرارا وهي تعد لحروب أخرى قريبة، دونما ثقة في الفوز، ويفيدها بالطبع أن يخوض حروبها الآخرون، وأن تزج باللبنانيين في حرب أهلية داخلية جديدة، وأن تثير دواعي الشقاق والاحتراب، وتدفع بطوائف السنة والمسيحيين والدروز إلى حرب اقتصاص من» حزب الله «بالذات، وتلك لعبة مفضوحة، لن يقع غالب الشعب اللبناني في شركها أبداً، فقد قاسى اللبنانيون من قبل حرباً أهلية طويلة، لم تجلب لهم إلا الدمار، وسفك دماء 200 ألف لبناني وفلسطيني، إضافة للغزو الإسرائيلي، واحتلاله لبيروت أوائل ثمانينيات القرن العشرين، ولم تذهب الغمة إلا بعزيمة طلائع الشعب اللبناني، وبمقاومة أطراف وطنية متعددة المشارب، كان بينها ثم في مقدمتها» حزب الله «الذي لم يكن طرفاً في حرب أهلية دامت 15 سنة بوعي سياسي مقاوم، فالقوة المسلحة الراجحة لحزب الله، تظل عنصر ردة لأي طرف لبناني آخر، قد يفكر بالتورط في إشعال حرب أهلية جديدة، ثم إن التطور الملحوظ في تكوين وعقيدة الجيش اللبناني الرسمي، قد يكون ضماناً أخرى، تقلص فرص انزلاق البلد إلى صدام أهلي واسع، حتى مع تدهور الأوضاع الأمنية، وظواهر الانفلات التلقائي أو المصنوع المصاحب عادة لمآسي الإفقار والتجويع المنقشية، وافتعال المشاغبات

الطائفية والمذهبية، وكلها أساليب مكشوفة ومرفوضة عند أغلب اللبنانيين العاديين، برغم قسوة المعاناة اليومية.

2- إسرائيل والحرب على الوعي:

لقد كثف الجيش الإسرائيلي في السنوات الأخيرة نشاطه على الجانب النفسي من المواجهة، ضمن ما يمكن تسميته "الحرب على الوعي"، كجزء من جهوده الرامية إلى "خلق الوعي المناسب وتطوير الأدوات التنظيمية التي تدعم تصوره"، وهذا وفق تقرير نشره معهد أبحاث الأمن القومي "في جامعة تل أبيب. وأوضح التقرير أن خطة الجيش في هذا السياق تشمل على وضع مفهوم لحملات على الوعي لدى الجانب المعادي وتطوير الأدوات التكنولوجية، وتدريب الأفراد المناسبين لذلك، وبناء الأطر التنظيمية التي تدعم هذا المفهوم، وذلك من أجل "توجيه الخطاب المباشر إلى العديد من الجماهير المستهدفة في الدول المعادية"، بما في ذلك الخطاب نحو ما أسماه التقرير بـ"العناصر الإرهابية في الشبكات الاجتماعية". ويُشكل التطوير التكنولوجي، بالإضافة إلى التواجد في الشبكات الاجتماعية ومراقبتها بحسب تقرير المعهد، "مصدرا إستراتيجيا لدولة إسرائيل إلى جانب الأنشطة العسكرية التقليدية". وقدم التقرير لمحة عن "مجموعة متنوعة من الإجراءات العلنية والسرية التي اتخذها الجيش الإسرائيلي في مجال حملات التوعية لنقل الرسائل إلى الجماهير المستهدفة في لبنان والمنطقة والعالم، والتي تنص على أن الجهود التي تبذلها إيران وحزب الله مكشوفة وواضحة لإسرائيل، ما يعطيها الحق في أن تتصرف ضدهما بالشكل الذي تراه مناسباً، لذا من الأفضل لسكان لبنان عدم السماح لهم بذلك، لأنهم يُستغلون كدروع بشرية."

وأوضح التقرير أن الجيش الإسرائيلي يعمل ضد حزب الله في لبنان "بجهود توعوية أخرى"، حيث يسعى المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي، والمسؤول عن الشبكات الاجتماعية في العالم العربي، أفخاي أدري، للوصول إلى مختلف الفئات المستهدفة في لبنان، وفي سبيل ذلك، قام بتوجيه الأسئلة إلى أمين عام حزب الله، سماحة السيد حسن نصر الله، من خلال مقال نشره في موقع الكتروني لبناني، قائلاً: "من أمرك بإرسال شباب لبنان للموت في ساحة الحرب في سوريا؟ أليست مصالح إيران؟ مصلحة من كانت حين انجرت لحرب لا

علاقة للبنان فيها؟ أليست مصلحة ولي الفقيه؟. كما أرفق أدعي أسئلته بهاشتاج :
#نصرالله#عم_تضحك_على_مين.؟"

وأشار التقرير إلى أنه ما زال من الصعب تقييم تأثير هذا النشاط على حزب الله، ولكن يبدو أنه يحظى باهتمام كبير في الصحافة اللبنانية الصغرى، ما يعني أنه تأثير يمكن أن يكون طويل الأمد، لافتاً إلى أن الجيش يكتف جهده في الآونة الأخيرة، كجزء من "محاولة المحافظة على تراكم القوة في المنطقة"، الأمر الذي يتطلب، وفقاً لرؤية الجيش، تفعيل المفاهيم التشغيلية المتقدمة، والوعي والتنمية والتطوير، الذي أجري للأدوات التكنولوجية، وتدريب الأفراد المناسبين وبناء الهياكل التنظيمية. "وأوضح التقرير، أهمية الحرب على الوعي، إذ أنها ليست مسألة جديدة، وهي جزء من تاريخ حروب العصور القديمة، حيث لا الروح القتالية أهمية في قمع الخصم (...). كما أن المعركة العسكرية يجب أن تتداخل مع عمليات تهدف إلى التأثير على عقول العدو."

تتيح التنمية التكنولوجية مجموعة من جهود النفوذ المركزة لتوجيهها إلى جماهير مستهدفة مختلفة، وتخلق في الواقع ساحة أخرى للمعركة، فضلاً عن المعركة العسكرية الكلاسيكية، حيث تجد الجيوش والدول نفسها، في مواجهة لجهود العدو عبر استغلال الفضاء التكنولوجي والشبكات الاجتماعية لتحقيق الإنجازات المعنوية والنفسية حتى من دون تفعيل التدابير الحركية، أو إلى جانبها. وهذا يتطلب من الجيوش أن تكون سبّاقة إلى تحقيق الأهداف من خلال التأثير على الجمهور المستهدف في الطرف المعادي، بمن فيهم صناع القرار والقادة والمقاتلون، وكذلك الرأي العام المحلي والدولي. ويمكن تقسيم الحملات الإسرائيلية ضد الوعي إلى ثلاث فئات، أولها "عمليات سرية للوعي"، حيث لا يكون الهدف على علم بأن هناك جهداً حربياً على الوعي "يجري ضده. ثانيها" الدعاية الكاذبة. "وثالثها" شن حملات ضد الوعي، مثل الإعلانات والرسائل، مثل مقال المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي إلى لبنان، أو نشاط الجيش الإسرائيلي على الشبكات الاجتماعية اللبنانية. "وقال التقرير إن العمل في الفضاء المفتوح يتطلب مهارة تنطوي على فهم علم النفس الجماعي وتحليل الجماهير المستهدفة، لكي يكون بالإمكان "شنّ حملات تؤثر على مجموعة واسعة من الجمهور المستهدف". وأوضح التقرير أن الجيش الإسرائيلي يناقش، كغيره من الجيوش في العالم، مسألة من ينبغي أن يقود الحملة على الوعي والتأثير نظراً لحساسيتها، لذا فإن الجيش يعتمد على تعيين المتخصصين في هذا المجال، مشيراً إلى أن المعركة على الوعي تشمل ثلاثة أقانيم: أولها "قبل الحرب"، وآخر "خلال الحرب" وأخير ما بعد الحرب أي

"في نهاية الصراع"، وجميعها تدعم المعركة الرئيسية في ميدان القتال. وخلص التقرير إلى أن المعركة على الوعي تركز على نهج شامل ومدرّس، "يجمع بين جميع الهيئات والسلطات المعنية، بما في ذلك الجيش والأجهزة الأمنية، والكيانات القانونية والاقتصادية والدبلوماسية، الأمر الذي يتطلّب التوجيه المستمر لجمع المعلومات الاستخباراتية والبحوث، وبالتالي تطوير الأدوات والقدرات المعرفية في العمل ضد مجموعة متنوعة من الجماهير، وتطوير القدرة على مهاجمة استباقية لأهداف قد تشكّل خطراً محتملاً على إسرائيل".

لقد سعت إسرائيل كما في الحروب السابقة منذ نكبة عام 1948 إلى إنتاج رواية خاصة بها عن كل حرب، إضافة إلى استخدام النار بشكل مفرط لحد ارتكاب المجازر المتوحشة بهدف التأثير على وعي الإسرائيليين أنفسهم أولاً واحتلال وعي العرب والعالم ثانياً.

في أيام السلم والحرب طيلة العقود الماضية سعت إسرائيل للترويج لرواية عامة تصورها كصاحبة جيش صغير وذكي وقوي ومستضعف لكنه يحقق الانتصارات على دول وجيوش أكبر منه. ورأى مراقبون أن صورة إسرائيل بدأت تتغير في وعي سكانها وفي عيون العرب والعالم إلى حد الانقلاب منذ حرب عام 1973 وحتى الحرب السادسة أو حرب لبنان الثانية التي شنتها على لبنان عام 2006 مروراً باجتياح 1982 وبالانتفاضتين الفلسطينيتين".

في تصريحٍ لافتٍ للغاية، يُعتبر تغريداً خارج سرب الإجماع القوميّ الصهيونيّ، قال د. أوري ميليشتاين، الباحث الأول في حروب إسرائيل، في معرض رده على سؤالٍ حول الأفلام التي صورها وعرضها حزب الله اللبناني عن أسر الجنديين ريغيف وغولدفاسر، في العام 2006، قال أنّ الأفلام صحيحة، وصادقة، وتمّ تصويرها خلال عملية الأسر، التي أدت في نهاية المطاف إلى اتخاذ إسرائيل القرار بشنّ العدوان على لبنان في صيف العام 2006، في حربٍ استمرّت 34 يوماً، هُزمت فيها إسرائيل، وباتت تُعرّف بحرب لبنان الثانية. وتابع د. ميليشتاين قائلاً في حديثه للإذاعة العبرية إنّ هناك نقطةً مهمةً للغاية، وهي تكمن في طريقة حزب الله لخوض الحرب على الوعي، لافتاً إلى أنّه منذ تأسيس الحزب، قام بعدة عملياتٍ ضدنا الأمر الذي دفعنا إلى الهروب من لبنان، وهذا الأمر استمرّ 15 عاماً بعد الهروب، إذ أنّ الحزب واصل العمليات، وبموازاة ذلك، استمرّ في تصوير وتوثيق العمليات ضدّ إسرائيل. وتابع أنّه في كثيرٍ من الأحيان، قام حزب الله ببثّ فيديوهات عن احتلاله لمواقع عسكريّة في جنوب لبنان، أو أنّهم تمكّنوا من إخضاع قوّة عسكريّة تابعة لنا،

ونحن تعاملنا مع هذه الأفلام بازدراءٍ واستخفافٍ، ومع ذلك واصل حزب الله تصوير العمليات، مثل رفع علم الحزب على أحد المواقع في جنوب لبنان بعد احتلاله. وشدّد د. ميليشتاين، على أنّه بحسب رأيه وأبحاثه المتعدّدة في هذا المجال، وإذا أخذنا بعين الاعتبار، جميع هذه الأمور سويّة، فإنّ حزب الله في الحرب على الوعي، بما في ذلك وعي الإسرائيليين، ووعي الأطراف الأخرى غير المُشاركة في الصراع، قد حقق إنجازاتٍ كثيرةٍ وكبيرةٍ جدًّا، ورأى ميلشتاين انه : يجب الإقرار والاعتراف بأنّهم يقومون بإدارة الحرب على الوعي بشكلٍ ذكيٍّ جدًّا وراقٍ للغاية، وهذا الأمر يمنح الحزب مصداقيةً كبيرةً وثقةً أكبر، الأمر الذي دفع الإسرائيليين إلى تبني المقولة عوضًا عن رؤية الأفلام التي يبنيها الجيش الإسرائيليّ، من الأفضل لنا أن نُتابع الفيديوهات التي ينشرها حزب الله، لافتًا إلى أنّ حزب الله، طبّق قولاً وعملاً المقولة بأنّ الصورة تُساوي ألف كلمة، على حدّ وصفه.

من ناحية أخرى خسرت الدولة العبرية في حربها الأخيرة على لبنان ميزة النصر الحاسم والسريع والقليل الكلفة كما كان يحصل مع جيوش الانظمة العربية الفاشلة او المتآمرة لنتثبيت صورة الجيش الذي لا يقهر . وباتت اسرائيل بعد حرب لبنان الثانية مختلفة في وعي الإسرائيليين انفسهم ووعي الآخرين بعدما خسرت في العقود الثلاثة الأخيرة أجزاء مهمة من روايتها التقليدية الموهومة عن جبروتها وتفوقها . وإسرائيل بعد عام 1967 خسرت تدريجيا أسطورة" القلة في مقابل الكثرة "التي حرصت على رعايتها وتسويقها .ومن هنا انت محاولات إسرائيلية للتمسك بأسطورة حروب اللاخيار لتصنيع وعي بأنها حرب عادلة ولخدمة روايتها التي تبرر أخلاقيا لنفسها وللعالم ما تقوم به من ممارسات وعمليات عسكرية اجرامية .وتل أبيب بواسطة ذلك تحاول التركيز على أن وجودها يتطلب التوسع المستمر والاعتماد على السيف فتنتج رواية تؤكد على ضرورة الحفاظ على قوة الردع لتوفير الشعور بالأمن لدى مواطنيها .

لقد كان حزب الله واعيا لأهمية المعركة على الوعي والرواية الحربية والسردية القتالية وقد نجح بتحقيق مراده كما تدل مضمين وسائل الإعلام المحلية والعالمية بل وحتى الاسرائيلية . وابدى حزب الله اهتماما لافتا في حرب عام 2006 للفوز في المواجهة على الوعي من خلال المساس بأهداف رمزية للجيش كالبارجة) ساعر - (5)أو ضرب العمق الإسرائيلي وغيرها من العمليات التي عززت صورته وصورة مفهوم المقاومة في الوعي العربي .وفي السياق قال أستاذ التاريخ في جامعة تل أبيب البروفسور موشيه تسيمرمان إن إسرائيل وضمن

حربها على احتلال الوعي لدى الناس نجحت حتى العام 1973 بترويج روايتها القائمة على أسطورة داوود "المستضعف المعتدى عليه مقابل) جولبيت (المستكبر". وأكد تسيمرمان على أن حزب الله كان واعياً لأهمية المعركة على الوعي والرواية بشأنها وقد نجح بتحقيق مراده كما تدل مضامين وسائل الإعلام العربية والعالمية عدا الأميركية. ونوه الباحث بأن انقلاب الصورة وخسارة إسرائيل للمعركة على الرواية سيدفعها للتطرف موضحاً أنها ستعود للمقولة التقليدية: "كل العالم ضدنا". وتجدر الإشارة إلى أن الدكتور يوسي بن أري) جنرال بالاحتياط)، قد نوه في مقال له بإن إسرائيل تدير معركة عبثية تحت غطاء شرعي يتمثل باستعادة قوة ردعها من أجل استعادة هيبتها المفقودة.

3- الانتصار في الروح :

لقد تزايدت التحذيرات الاسرائيلية العسكرية والسياسية من مغبة قيام "حزب الله" بالرد على مقتل احد كوادره في سوريا بغارة اسرائيلية قبل فترة قصيرة، وكان آخر التحذيرات الاسرائيلية ما قاله رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو، من ان اي استهداف لكيانه عبر لبنان" سيرتب ردّاً اسرائيلياً في سوريا ولبنان".

في المقابل تمسك "حزب الله" في ما يعتبره حقاً للرد من الأراضي اللبنانية، انطلاقاً من قواعد الاشتباك التي شدد الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصرالله على تثبيتها لجهة أن أي استهداف لعناصر الحزب في سوريا، سيؤدي إلى رد من الاراضي اللبنانية على اسرائيل. وهذا ما جرى حين استهدفت اسرائيل عنصرين لحزب الله "في نهاية آب من العام 2019، واستهدافها كذلك مركز العلاقات الاعلامية للحزب في حي معوض بالضاحية الجنوبية، ورتب ذلك قيام "حزب الله" باستهداف آلية اسرائيلية قرب الحدود مع لبنان في مطلع ايلول. وبذلك دخل قائد المقاومة الاسلامية سماحة السيد حسن نصر الله في خطابه الأخير إثر استشهاد أحد الأخوة المجاهدين في سوريا إلى المنطقة الأكثر أهمية وحساسية في الصراع مع العدو الإسرائيلي، وهي منطقة الوعي، حين قال بأن المهم هو ما أصاب إسرائيل بعد اعلان عملية الاغتيال في القنيطرة، مشيراً بذلك الى حالة الاستنفار العالية في صفوف جيشها، ومعتبراً أن أول الانجازات لدماء الشهداء هو أنه من الأحد إلى الأربعاء، إسرائيل واقفة على رجل ونص.

ويبدو أن سماحة الأمين العام قد تجاوز في فهمه لردة الفعل الإسرائيلية هذه اطار الحسابات المادية والتوازنات العسكرية، وأراد أن يضعها لنا ضمن مشهد أشمل وأعمق، يتمثل في حالة الوعي الجديد الذي بات يتشكل لدى الإسرائيلي عن نفسه أولاً وعن خصمه ثانياً. وهي جبهة صراع مهملة لم نولها الاهتمام الكافي طوال العقود الماضية، في حين كان هو يحاربنا بها ومن خلالها. ولفهم أهمية جبهة الوعي هذه والتي برزت أكثر من مرة في خطاب تكريم شهداء القنيطرة، علينا أن ندرك حقيقة قاسية تركها لنا تاريخ صراعنا مع إسرائيل، وهي أن وعي الإسرائيلي تشكّل مبكراً وسريعاً على قاعدة التفوق والتفرد. «وهذه القاعدة ارتسمت حدودها ما بين النكبة والنكسة، فحين كان الجندي الإسرائيلي يراكم انتصاراته المتتالية علينا، كان في الوقت نفسه يتراكم لديه شعور التفوق وتعمق بداخله صورة البطل المنتصر وسط محيط من التخاذل والهزائم. وفي المقابل كانت تتراكم داخل أكثرنا نحن الانكسارات وفقدان الثقة بالنفس والندية. ومن هنا ولدت ثقافة جلد الذات وتضخيم الآخر. وحين شكّلت الثورة الفلسطينية آنذاك اهم محاولة عربية في القرن العشرين لوضع حد لهذه الانكسارات داخلنا، جاءت هزيمة اوسلو لتفتح لها الباب على مصراعيه من جديد. ولا نبالغ ان قلنا بأنّ هذا التفوق داخل الإسرائيلي وعياً وشعوراً وادعاءً، وذاك الانكسار في داخل بعضنا، قد شكلا الانجاز الاستراتيجي التاريخي الأهم لمصلحة العدو. وتعود أهمية هذا الانجاز لطبيعة وتركيبه الكيان المصطنع الذي نحن في مواجهة وجودية معه. فإسرائيل ربما هي الحالة الوحيدة في التاريخ التي ولدت كجيش من العصابات الاجرامية اولاً ثم أصبحت دولة احتلال واغتصاب، ما يعني أن أساسها وجوهرها قائمان على هذه المعاني العنفية وبالتالي لا قوة لديها يمكن أن تحفظ بقاءها وتضمن استمراريتها سوى القدرة العسكرية، وهذا على عكس الدول التي تولد من رحم مجتمع له تاريخ وثقافة وارض وهوية وانتماء. فهذه الدول لا تنتهي بمجرد هزيمة جيوشها، بينما الدولة التي تفتقر لأساسيات الوجود فلا بقاء لها ولا حصن يحميها سوى الجندي. وهذا الجندي لا قيمة له مهما راكم من أسلحة وخبرات عسكرية ان كان مهزوماً من داخله.

لذلك فإن الانتصار الذي نحن امامه اليوم، والذي راكمته المقاومة طوال السنوات الماضية، يتمثل في القدرة على اختراق وعي الإسرائيلي واعادة هندسته وبنائه على قاعدة جديدة غير قاعدة «التفوق والتفرد» التي تشكلت في غفلة منا ومن التاريخ. ويمكننا التأريخ لتجلي اعادة هذه الهندسة مع حرب 2006، التي مع كل اسف لم تأخذ حقها الكافي في الدراسة والتحليل واستخلاص النتائج والمدلولات، بل العكس بذلت وما زلت

تبدل محاولات عربية جبارة للأسف للتقليل من أهميتها. ولكنها وجدت ارتدادها الطبيعي والايجابي داخل فلسطين نفسها. وانه لا يوجد اكثر سطحية من ذلك الذي تناول تلك الحرب بمنطق الحسابات العسكرية المجردة، مع انه حتى هذا المنطق، من انتصر فيه هو حزب الله، ولكن النتيجة الاهم والتي تتجاوز بكثير ما رسم انداك من قواعد اشتباك، والتي اعتبرها سماحة السيد نصر الله انها بعد عملية القنيطرة لم تعد قائمة، هو أن حزب الله استطاع كي وعي الإسرائيلي زارعاً داخله «مبدأ الندية»، وهو المبدأ الذي ترجم عملياً في وقوف إسرائيل «على رجل ونص». «فهي اليوم تترك انها أمام ند وتخشاها.

والساذجة والسطحية نفسها التي فهمت بها حرب 2006 انسحبت على فهم وتحليل الحرب الأخيرة على قطاع غزة، فهناك أيضاً تم تحقيق اختراق جديد لوعي الإسرائيلي ولصورته المتضخمة عن نفسه، حيث لم نلتفت إلى الأثر الذي يمكن أن تتركه إرادة مقاتل فلسطيني استطاع رغم الحصار بناء قدرات قتالية جديدة والخروج لعدوه من باطن الأرض. وهو اثر وجد صداه الأكبر في الضفة الغربية حيث تحاول ثقافة «اوسلو» «يوماً» تكريس هزيمة الوعي. وقد جاء في مقال بعنوان «في السؤال عن المكسب السياسي للمقاومة... وعباس»، كيف ان الاطراف التي ترفض اعادة صياغة وعي الفلسطيني والعربي عموماً على قاعدة الندية مع العدو تنبعت الى ذلك وعملت سريعاً على التقليل من ذلك الاثر.

الهزائم ليست دائماً مدمرة اذا بقيت ضمن النطاق العسكري المجرد، والانتصارات أيضاً لا تتحقق فقط بالتفوق العسكري. هذا ما يدركه الإسرائيلي واصدقاؤه جيداً، وهذا ما يدفعهم لخوض حرب شرسة ضد تحقيق اي اختراق للمقاومة على «جبهة الوعي». «وهو ما يترجم في سيل المقالات والتحليلات والقنوات الفضائية التي تحاول ليل نهار الانقاص مما يحدث على حدود فلسطين وداخلها، ولكن يبدو أن الوقت بات متأخراً ووعي الإسرائيلي قد هزم، وفي المقابل المقاومة باتت ثقافة تزرع الايمان بحاملها انه قادر على هزيمة عدوه. بالتالي أكثر ما هو مطلوب اليوم هو توسيع قاعدة هذه الثقافة وتحسينها من كل ما يتهدها.

4- أهمية القادة الشهداء في صناعة الوعي:

اعتبر سماحة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله، في الاحتفال المركزي بذكرى استشهاد بعض قيادات المقاومة بعنوان "مقاومة لا تهزم" ان "قادتنا جزء من معركتنا المفتوحة مع العدو والمشروع الأمريكي

الصهيوني، وهم باقون معنا بأسمائهم وأرواحهم وعطاءاتهم، معنا في الفكر والوعي والعمل الجاد والميدان والثأر الذي لم ولن ينسى. نحن نحیی ذكری القادة كل عام لنستمد منهم الصبر والثبات في مواجهة التحديات القائمة والقادمة، ونحن ببركة قيادتهم وتوجيهاتهم وتضحياتهم ودمائهم انتقلنا من نصر إلى نصر، وذقنا طعم العزة والكرامة، والقدرة على اسقاط المشاريع الكبرى التي تستهدف وطننا. "وتابع: الإسرائيليون ومعهم حكومات عربية، يدفعون بقوة باتجاه الحديث عن الصراع السني الشيعي، والتصوير وكأن كل ما يجري في المنطقة هو صراع سني شيعي، انه صراع سياسي كما في اليمن والبحرين وسوريا والعراق ولبنان، فالعنوان الطائفي يخدم مصالحهم فقط."

وأردف: "إن تقديم إيران كعدو وكذلك نظام الأسد وحزب الله، وتجاهل العدو الحقيقي وهو إسرائيل، يظهر أن هناك تطابقا بين الأدبيات الاسرائيلية وبعض الإعلام العربي وخصوصا السعودي والخليجي. فالإسرائيلي يعتبر أن تطورات المنطقة فرصة ذهبية ليقدم نفسه صديقا لأهل السنة في العالم العربي والإسلامي، وهو في مرحلة من المراحل قدم نفسه صديقا وحاميا للمسيحيين في لبنان وسوريا، وحاميا للشيعية في لبنان عام 82 بوجه الفلسطينيين، ولكن الوقاحة وصلت أن يقدم نفسه صديقا وحليفا وحاميا لأهل السنة. ويتم استغلال الظروف لنقل بعض العلاقات من تحت الطاولة إلى فوق الطاولة، والعناق والمصافحة نجدها في ميونيخ مع السعوديين والخليجيين. وأضاف: "ان الذين نحتفل اليوم بذكراهم اغتالهم إسرائيل بالرصاص والغارة الجوية والسيارة المفخخة، وهم يواصلون القتل والاغتيال، وسمير القنطار لن يكون الأخير."

وسأل نصر الله في خطابه: "هل تقبلون صديقا أيتها الحكومات العربية ما زال يحتل أرضا سنية؟ هل تصادقون كيانا أرتكب أهول المجازر في التاريخ بحق أهل السنة؟ من الذي يمنع عودة ملايين الفلسطينيين إلى ديارهم؟ هؤلاء الصهاينة صادروا الحرم الإبراهيمي وينتهكون حرمة المسجد الأقصى وهي أوقاف سنية، وفي كل يوم كم من حرب تشن على غزة وعشرات آلاف الشهداء، وفي كل يوم قتل لشباب وشابات وأطفال وشيوخ فلسطين أمام مرأى العرب والمسلمين وامام الحكام الذين يقولون زورا أنهم سنة. وكيف يتعرض الفلسطينيون للمهانة في كل ساعة وكل يوم أليسوا من أهل السنة؟ كيف يقبل عاقل من أهل السنة أن تقدم إسرائيل على أنها صديق وحام، ما هذا الخداع الذي يمارسه الإعلام العربي ويخترعون أعداء آخرين. كيف تتخذ إسرائيل صديقا وحليفا وحاميا وهي التي فعلت ما فعلت. كل الذين قتلوا واستشهدوا واعتقلوا من أبناء

الشعوب العربية ألم تكن أغلبيتهم الساحقة من أهل السنة؟ هذا الامر يجب أن يواجه بجدية .هذه مسؤولية العلماء والناس، أن يرفضوا التضليل والتآمر، والا فلسطين ستضيع الى الأبد، والمقدسات الاسلامية والمسيحية ستضيع ايضا إلى الأبد."

ولفت السيد نصرالله إلى أن "إسرائيل تعاطت مع الأحداث السورية بأنها فرصة لتغيير النظام واعتبرت سوريا حلقة الفصل الأساسية وعمود خيمة المقاومة، وإذا كسر هذا العمود سيتلقى ضربة قاسية جدًا، لا قيم إخلالية عند الإسرائيلي بل فقط مصالح .من زاوية مصلحة إسرائيل زوال النظام السوري لاعتبارات ترتبط بمصالحها . لأنهم يعتبرون أن هذا النظام كان وما زال وسيبقى يشكل خطرا من خلال موقعه على مصالح إسرائيل في المنطقة، لذلك هم من اليوم الأول كانوا جزءا من المعركة على سوريا استخباراتيا ولوجسيتيا، وقدموا تسهيلات عبور في أكثر من مكان في لبنان والأردن، وكانت إسرائيل من خلف الستار تحضر كل ما يمكن أن يحرض ضد سوريا."

وتابع: "إسرائيل تلتقي بقوة مع السعودي والتركي، إسرائيل تتفق مع السعودية وتركيا على أنه لا يجب ولا يجوز أن يسمح بأي حل يؤدي إلى بقاء الأسد ونظامه حتى لو حصلت تسوية ومصالحة وطنية سورية سورية .هذا الامر مرفوض سعودي وتركيا وإسرائيليا، لذلك هم يعطلون المفاوضات ويعيقون ذهاب الوفود، ويضعون شروطا مسبقة ويرفعون الأسقف التي لم تعد مقبولة أوروبا وأمريكا، ولا مشكلة لهم باستمرار الحرب، ويعتبرون أي مصالحة وطنية خطرًا يرفضونه وخصوصا على إسرائيل."

وقال: "اسرائيل تدعو وبكل وقاحة الى تقسيم سوريا على اساس عرقي وطائفي .قالوا دولة سنية، دولة علوية ودولة كردية، واعتبروا انه اذا تم تقسيم سوريا الى دويلات وأنه يمكن التفاهم والتواصل مع هذه الدويلات وصولا الى مرحلة التحالف، لذلك هم يرفضون حصول مصالحة وطنية سورية، ويتعبرون أن الافضل أن تقسم سوريا من أي يحصل تسوية ومصالحة تبقي النظام والرئيس .اسرائيل هي شريك في الحرب على سوريا، وفشلت في سوريا لأن هدفها اسقاط النظام وهذا لم يتحقق، وفشلت في أن توصل سوريا إلى مرحلة التقسيم لأن الجيش السوري والقوى الشعبية عندما يقاتلون في اللاذقية وحماه وحلب وحمص يؤكدون رفض التقسيم، وما يقال إن القتال هو لاجاد دويلة هو كذب وافتراء .ثم اردف:"وفي تركيا أيضا سقط مشروع الامبراطورية

العثمانية الحديثة التي كانت ستمتد الى لبنان والعراق والاردن وشمال مصر .والمشروع السعودي في سوريا سقط ويتجرع كأس أحقاده وفشله . لا نتحدث عن هزيمة كاملة بل فشل ."

وعن قدرات حزب الله قالسماحة السيد " :خلال العام الماضي في المؤتمرات والندوات تحدث المسؤولون الإسرائيليون عن قدرات حزب الله وتطور إمكاناته وصواريخه وعن المنظومات والانفاق، ووضعوا عنوان اسمه حرب لبنان الثالثة ويقدمون أن التهديد العسكري الاساسي هو حزب الله .حزب الله خطر على المشروع الصهيوني وعلى أطماع إسرائيل وعائق في وجه مشاريع إسرائيل وعندما تشخص أن المقاومة خطر مركز فهي ستعمل على إزالة هذا الخطر، وإزالة هذا الخطر هناك طرق عديدة أهمها الحرب وازالت المقاومة من الوجود أي حرب شاملة، والخيار الثاني الذي تلجأ له كل الدول هو وضع هذا الخطر أمامها ومحاصرته سياسيا وشعبيا واعلاميا وماليا وقطع خطوط الامداد وقتل واغتيال قياداته ومحاولة اختراقه أمنيا من خلال الجواسيس وتشويه صورته في العالم، لتحقيق انكفاء الحاضنة الشعبية حتى يصبح هزيلا ضعيفا .إسرائيل جربت الطريق الأول، حرب تموز 2006 كان هدفها القضاء على المقاومة وهذا لم يحصل، والطريق الثانية هم يمشون بها من زمان .ثم أردف بالقول " البعض يقول ان الفرصة الاقليمية لإسرائيل متاحة لشن حرب على لبنان وأن تضرب المقاومة واعادتنا 20 سنة الى الوراء، اسرائيل لا تحتاج لظروف اقليمية ولا دولية لتشن حربا، الظروف الاقليمية دائما مساندة لإسرائيل، هناك شيء وحيد يمنع إسرائيل من أن تشن حربا، هي بعد حرب لبنان الثانية والأولى والفشل بالنتائج لها عنوان هو أنها تخرج إلى الحرب إذا كان النصر محسوما وإذا كانت مطمئنة لأنهم لا يتحملون قصف تل أبيب لأشهر، عندما نمنع في لبنان أو ترى إسرائيل أن في لبنان من يمنعها من أن تدخل الى حرب تنتصر فيها نصرا بينا سريعا ناجزا لن تخرج إلى الحرب، الذي يمنع قيام حرب ثالثة هو وجود مقاومة وحضن لهذه المقاومة والجيش الوطني، مقاومة قادرة على أن تمنع هذا الانتصار، وأنا أقول لكم من موقف الشيخ راغب ومن جهد الحاج عماد مغنية لديكم في لبنان مقاومة قوية وذات عنفوان وحضور ومقدرات جديدة دفاعية وهجومية وهذه قادرة أن تلحق الهزيمة بإسرائيل في أي حرب قادمة."

وختم سماحة السيد بالقول " : عندما نحفظ هذه المقاومة ونساندها نمنع الحرب على لبنان، إسرائيل تقول إنها ستستهدف كل المناطق بالحرب القادمة وليس فقط مناطق محددة، ولكن نحن نشكل هذا المانع وهذا الحاجز

وإسرائيل تقوم بحساباتها. أحد الخبراء الاسرائيليين يقول إن سكان حيفا يخشون من هجوم قاتل على حاويات مادة الأمونيак، التي تحتوي على أكثر من 15 ألف طن من الغاز والتي ستؤدي إلى موت عشرات آلاف السكان، الشعور هناك صعب جداً والحكومة الإسرائيلية تهمل 800 ألف شخص، هذا الأمر كقنبلة نووية تماماً، أي أن لبنان يمتلك قنبلة نووية اليوم، أي أن أي صاروخ ينزل بهذه الحاويات هو أشبه بقنبلة نووية.

5- معركة الإرادات:

لم يعد الحديث عن انتصار حزب الله في معركة الإرادات مجرد تقدير، بل واقع انعكس في تقديرات ومواقف الخبراء والمعلقين في تل أبيب الذين يوجهون سهام انتقاداتهم لقيادتهم السياسية والعسكرية. فمنذ صدور بيان حزب الله بالرد الحتمي على استشهاد المقاوم علي محسن في اعتداء على موقع قرب مطار دمشق الدولي قبل أسبوعين، دخلت تل أبيب مرحلة محاولة الحد من خسائرها، بعدما وجدت نفسها أمام مروحة سيناريوات تنطوي كلها على دفع ثمن ميداني وردعي، في ظل استبعاد احتمال امتناع حزب الله عن الرد. وفي هذا السياق، انتقل حزب الله الى موقع المبادر، وانكفاً كيان العدو الى موقع المترقب المنتظر للصفعة الآتية. وارتقى حزب الله أيضاً الى وضعيّة الهجوم - الدفاعي، بهدف تعزيز مظلة الردع التي تحمي المقاومة ولبنان، فيما لم يُخفِ العدو تراجعهم الى وضعيّة من يحاول تقويت الفرصة على اصطياذ بعض جنوده وضباطه، بعدما سلم بعجزه وفشله عن ثني حزب الله وردعه عن الرد. كل ذلك ليس إلا ترجمة لالتزام القيادتين السياسية والأمنية في كيان العدو، بسقف معادلة الردع التي أسسها حزب الله، ويعمل على الدوام من أجل تثبيتها بهدف منع العدو من التقلت من قيودها. ليس بعيداً عن هذا السياق، محاولة العدو أيضاً، عبر مختلف السبل المباشرة وغير المباشرة، ثني حزب الله عن الرد، من منطلق أن إسرائيل لم تتعمّد قتل أي من عناصره، كما تدّعي. لكنه كشف بذلك عن «ارتداع «يحكم أداء جيش العدو. وتجلّى هذا المفهوم بأعلى صورته في تأكيد رئيس أركان جيش الاحتلال، أفيف كوخافي، أن إسرائيل امتنعت عن قتل مجموعة من عناصر حزب الله، تجنّباً لـ«يوم قتالي». «ويعني ذلك أنه يقرّ بشكل مباشر أن أي استهداف دموي لن تتجح كل رسائل الردع في ثني حزب الله عن ردّ عليه يؤدي الى تدرج قتالي. وهو منطوق يخالف كلياً عقيدة الجيش التي تأسس عليها، وصورة رئيس أركانه الجديد التي يتم الترويج لها على أنها متوثبة وهجومية. مع ذلك، بعد فشل مساعيها

السابقة، تحاول قيادة العدو تعديل هذه الصورة عبر رفع مستوى التهديد، الذي تدرك تل أبيب أنه يستتبع ردوداً مضادة، ربما تؤدي تداعياتها الى تغيير المشهد الاقليمي.

هذا الواقع الذي قد يغفل عنه الكثير من اللبنانيين، في ظل ما يواجهونه من تحديات اقتصادية وصحية، يحضر بقوة في صدارة اهتمامات الرأي العام الاسرائيلي. وكعينة على تجليات هذا الحضور، لم يجد أحد أبرز المعلقين العسكريين في كيان العدو، ألون بن ديفيد، حرجاً في توصيفه بلغة تعكس شعوراً بالألم، إذ قال : «القوة العظمى في الشرق الأوسط، التي لديها تفوق جوي واستخباري وعسكري على كل جاراتها، وقفت هذا الأسبوع متشنجة كلها أمام ميليشيا تهدد بتنفيذ هجومٍ ضدها...وبدت إسرائيل كمن يتوسل فقط ألا تطلق النار». مع الإشارة الى أن هذا التوصيف يتشارك معه فيه الكثير من الخبراء والمعلقين الاسرائيليين الذين وجّهوا سهام الانتقاد لقيادتهم على حالة التردّي التي انحدرت اليها دولتهم.

ما يثير حنق شريحة واسعة من الإعلاميين والخبراء والقادة العسكريين السابقين في كيان العدو، أن حزب الله نجح في تعزيز معادلة الردع حتى قبل أن يرد عسكرياً. وما يفاقم التحدي بالنسبة إليهم جميعاً، كما عبّر بن ديفيد، أنه لوهلة» يمكن الخلط والاعتقاد أنه من بين الطرفين، ليس حزب الله هو الموجود في بلد يعاني من أزمة اقتصادية واجتماعية وسياسية ولا كأنه يواجه تحديات داخلية غير مسبوقه في تاريخ لبنان على المستويين الاقتصادي والمالي، إضافة الى تحدي» ميزانية مقلصة، متظاهرين في بيروت غاضبون في الشوارع، فضلاً عما تواجهه إيران من ضغوط اقتصادية قاسية...«ومع ذلك، يتابع بن ديفيد، فإن» الجيش الاسرائيلي يقف كله متوتراً ومتأهباً لصدّ عملية سيشنّها حزب الله على الحدود الشمالية». «ولم يُخفِ المعلق الاسرائيلي الرسالة الأهم التي ينطوي عليها هذا المشهد في» معركة الإرادات»، إذ قال: «انتصر حزب الله في حرب الأعصاب».

ما ينبغي التصويب عليه واستحضاره، أن هذا الواقع تبلور في خطاب المعلقين والخبراء الاسرائيليين بعد بيان حزب الله، الذي بدّد رهانات كانت تراود مؤسسة التقدير والقرار في تل أبيب، وحسّم اتجاه الأحداث على خلاف ما خطط وحاول أن يدفع إليه قادة العدو، بأن تمر جريمة قتل أحد عناصر الحزب في سوريا من دون عقاب. وأسس لسياق تتبلور معالمه في الكباش بين رسائل حزب الله التي حضرت بقوة على طاولة القرار في

تل أبيب، في مقابل محاولة العدو احتواءها عبر إحداث قدر من التوازن على مستوى الصورة، عبر إطلاق رسائل تهديد يدرك الرأي العام أنها أبعد ما تكون عن إمكان التحقق على أرض الواقع.

ساحة أخرى من ساحات تجليات الانتصار في معركة الإرادات، كشف عنها المعلق العسكري في القناة الـ (13) في التلفزيون الإسرائيلي، أور هيلر، الذي لفت الى أن التقدير في جيش العدو هو أنه «كلما مرّ الوقت يتضح أن الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن (نصر الله لن يتنازل عن المعادلة التي يسعى الى إنتاجها»، والأصح تثبيتها. وفي هذا السياق ليس تفصيلاً، يتابع هيلر، «أنهم في الجيش يفحصون عما إذا كان الحادث الذي وقع يوم الثلاثاء الماضي) راجع» الأخبار»، الأربعاء 29 تموز (2020)، في مستوطنة شتولا في القطاع الغربي، هو عملياً محاولة استدراج من قبل حزب الله «لجنود العدو. بصرف النظر عن حقيقة ما جرى، لأن المقاومة لا تعلن عادة عن تكتيكاتها، لكن قادة جيش العدو يتخوفون من أن يكون عناصر حزب الله حركوا السياج من أجل إطلاق الإشارات ودفع الجنود إلى الحضور ومن ثمّ استهدافهم.

يتجاوز اهتمام جيش العدو بهذه الحادثة الجانب التقليدي الذي يفرض عليه التحقيق في كل محطة مشابهة، الى كونها تؤثر - وغيرها من المحطات المماثلة - الى أكثر من رسالة وبعُد. فهي تمثل، لو صحّت هذه الفرضية، تجسيدا لمحاولة تنفيذ ما تعهّد به حزب الله في بيانه، وتؤشر الى أن ساحة الرد لن تكون مقتصرة على مزارع شبعاء، بل ستشمل أيضاً كل الحدود اللبنانية - الفلسطينية. ويأتي ذلك امتداداً لما سبق أن أسّس له حزب الله من خلال عملية «أفيقيم» في أيلول الماضي، التي أرست قواعد جديدة بأن ساحة الرد تشمل أيضاً كل الخط الأزرق على الحدود. ومن الواضح أن أصل طرح هذه الفرضية للفحص في جيش العدو، يكشف عن أنهم لا يستبعدون أن الرد يمكن أن يتم في أي نقطة على الحدود مع فلسطين المحتلة. وينطوي تسريب الفحص أيضاً على جانب من تعليمات قيادة جيش العدو للجنود والضباط بشأن ضرورة الحذر من أي محاولة استدراج يقوم بها حزب الله كي يصبحوا على أهداف مقاومة.

في الخلاصة، الوضع على الحدود هو أن حزب الله ينشر مقاتليه بحثاً عن جنود جيش العدو، فيما يلتزم هؤلاء تكتيك الاختباء والابتعاد عن مرمى استهدافه. وبخصوص المستوطنين في شمال فلسطين المحتلة، فقد كشفت قنوات التلفزة الاسرائيلية عن أنه بعد 14 عاماً من خطاب «ما بعد بعد حيفا» خلال حرب عام

2006، عاد أسم الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله يتردد صداه في كل منزل في شمال فلسطين المحتلة.

6- روح الهزيمة هي الحقيقة الباقية:

لعل في مقدمة ما تكشفه لنا الوثائق والمعطيات والشهادات الاسرائيلية، اليوم وبعد أربعة عشر عامًا، على الحرب العدوانية على حزب الله ولبنان عام 2006 هو تلك الحقيقة الكبيرة الساطعة التي تكرست على الصعيد الاسرائيلي وهي : أن "اسرائيل" منيت عمليا بهزيمة حارقة على يد حزب الله لن تنسى على مدى الاجيال الاسرائيلية، ولهذا الاستخلاص المكثف في الميزان العسكري الاسرائيلي علاقة مباشرة بمفاهيم "العقيدة والنظريات العسكرية/ الحربية" و ب "التفوق المطلق" و ب "قدرة الردع" و"كي الوعي" لديهم.. اذ سعت دولة الاحتلال منذ النكبة عام 48 الى انتاج رواية خاصة بها حول كل حرب بهدف التأثير في وعي الاسرائيليين انفسهم واحتلال الوعي العربي والفلسطيني على نحو خاص فضلا عن احتلال الوعي العالمي . فقد سعى هذا الكيان وعلى مدى العقود الماضية الى الترويج لرواية خاصة متميزة تصورها كصاحبة جيش صغير وذكي وقوي لا يقهر و يحقق الانتصارات السريعة الساحقة على مجموع الدول والجيوش العربية. ولكن... نجح حزب الله وفقا لكافة المعطيات الاسرائيلية والامريكية والاوروبية واللبنانية وغيرها في قلب كل الحسابات والتقديرات الاستراتيجية وفي تحويل الانتصارات الاسرائيلية السريعة والمذهلة الى هزيمة حرقت الوعي والمفاهيم الاسرائيلية، وليصبح عام 2006 أسوأ عام في تاريخ الكيان الصهيوني، وعليه يتأمر المتآمرون من اجل شيطنة حزب الله وعلى اثاره الفتنة الطائفية والحروب" السنوية "عليه...والغريب العجيب هو أمر هؤلاء ومن يصدقهم؟! وعلى ضوء ذلك يمكننا القول انه على خلاف استراتيجياتهم ومخططاتهم ومفاهيمهم الامنية المرتكزة الى حد كبير على ما يسمى " التفوق المطلق على الجيوش العربية " و"قدرة" الردع " و"حرق الوعي لدى الآخر " وعلى خلاف ثقافتهم العالية بالنفس وغطرستهم العسكرية المرتكزة ايضا الى تفوقهم الجوي الساحق واعتقادهم بامكانية الحسم العسكري السريع في اي مواجهة حربية مع اي طرف عربي... فقد نجح حزب الله في هذه الحرب العدوانية الاسرائيلية الجرائمية المنفلتة في قلب كل الحسابات والتقديرات العسكرية.. وفي اسقاط النظريات والمفاهيم الحربية الاسرائيلية... بل اكثر وابتعد من ذلك فقد "رد نظرية" كي

الوعي "الى نحورهم... اذ كما نتابع منذ سنوات فقد اعتمدت المؤسسة العسكرية والسياسية الاسرائيلية سياسة "كي الوعي" الفلسطيني مثلا عبر المزيد والمزيد من القوة والبلطجة الحربية واجتياحات التدمير والقتل المكثف ضد الفلسطينيين تحت شعار " ما لا يتحقق بهذا القدر من القوة سيتحقق بقدر اكبر منها".

لقد هدف جنرالات اسرائيل من خلال سياسات الاجتياحات والتدمير والقتل والحروب والمعارك بين الحروب إلى تطبيق هذا المفهوم ..وكانت رسالتهم للشعب الفلسطيني من وراء ذلك تسريب مفهوم " كي الوعي" الى وعي وذاكرة الفلسطينيين والعرب ..واقناعهم باستحالة هزيمة" اسرائيل "واجبارهم على تقديم تنازلات سياسية واستراتيجية واجبارهم بالتالي على الاعتراف بقوة الاحتلال المطلقة ، مقابل الضعف والعجز المطلق لديهم ولدى العرب ، وايصالهم في نهاية الامر الى القبول بالحل السياسي المستند الى مبدأ القوة والبلطجة العسكرية والى الشروط والاشتراطات الامنية والسياسية الاسرائيلية ، وليس الى مبادئ وقرارات الشرعية الدولية وحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة في تقرير مصيره بنفسه على ارضه . وبعيداً عن حكاية الفتنة الطائفية السنوية الشيعية التي يراد من ورائها شيطنة حزب الله واشعال الحروب الطائفية التي لا تبقي ولا تذر من وحدة عربية في مواجهة المشروع الصهيوني، فان الحقيقة الكبيرة الساطعة الصارخة المتعلقة بالحرب الاسرائيلية على لبنان عام 2006 ، يجب ان لا تغيب عن الوعي والذاكرة ابداء، ففي تلك الحرب اعتمدت المؤسسة الحربية الاسرائيلية المفاهيم المستندة الى بلطجة القوة والعريضة العسكرية نفسها بكافة تطبيقاتها وترجماتها على الارض على شكل عمليات القصف الجوي التدميري المكثف، ما تسبب في تدمير قرى لبنانية كاملة ومحوها عن وجه الارض وتدمير أحياء كاملة في العاصمة بيروت، إضافة الى استهداف كافة عناوين البنية التحتية اللبنانية من طرق وجسور وشبكات مياه وكهرباء وغيرها .. وكأنّ الجبروت الإسرائيلي يريد أن يقول للبنانيين وللشعوب العربية أيضاً: "هذا مصير من يحاول المس بإسرائيل ... هذا هو الثمن".

يضاف إلى كل ذلك كما هو معروف ذلك السقف العالي من الاهداف العسكرية والسياسية ومن المطالب والشروط التي يجب على لبنان وحزب الله ان يخضعوا لها ... اذ استبقت الحكومة الاسرائيلية مجريات ونتائج المعارك العسكرية على الارض، ووضعت سقفاً عالياً جداً لمطالبها ، على اعتبار أن الانتصار كما كان في الحروب السابقة، هو تحصيل حاصلٍ وستفرض" اسرائيل "مطالبها وشروطها في نهاية الامر وان الامر

سيُنجز على الأرض خلال أيام معدودة.. بل إن بعض الأصوات سُمعت في إسرائيل وهي تطالب بمحو لبنان عن وجه الأرض.

لكن... عملياً على الأرض وفي ميادين المواجهة والقتال هناك، لم تجر الرياح كما تشتهي فسن المؤسسة الحربية الاسرائيلية، على الرغم من ان اسرائيل رمت بثقلها الحربي المعروف في تلك المعارك المتدرجة، وانقلبت الامور رأساً على عقب وسقطت نظريات ومفاهيم حربية كما سقطت اهداف وآمال وتطلعات سياسية واستراتيجية اسرائيلية ولم تأت كل هذه الامور في حساباتهم على الاطلاق. فقد كان الإجماع الصهيوني في البدايات الحربية جارفاً واخذ يتراجع تدريجياً مع الايام والمعارك والخسائر والهزائم الجزئية المتراكمة... كما اخذت تلك الأوهام المميته التي أمسكت بالاسرائيليين تتبدد تدريجياً منذ الأسبوع الأول عندما اتضحت حقيقة المواجهات على الأرض و تبينت قدرة المقاومة على مواصلة القتال بمنتهى الثقة بالنفس برغم " رعب الصدمة والتدمير الهائل للبنية التحتية "وبرغم المذابح الجماعية ضد اطفال ونساء لبنان، مما ادى الى انقلاب كل الحسابات الاسرائيلية رأساً على عقب، والى سحق التقديرات العسكرية الاسرائيلية، وتهوى المفاهيم والنظريات الحربية بقوة مذهلة. ومن ثم ليتحول المشهد الاسرائيلي من حالة الغطرسة والنشوة والثقة المطلقة بالنفس والاعتقاد الراسخ بالانتصار السريع الساحق على حزب الله الى حالة اليأس والاحباط والاحساس بالهزيمة امام هذا الحزب الذي لم تلن له قناة ولم يضعف ولم يتفكك، بل اراهم المزيد والمزيد من البأس والقدرات والارادة التي لا تهزم. ولعل اعتراف الجنرال بنيامين بن اليعازر وزير الحرب الاسرائيلي سابقاً وعضو في الطاقم الأمني-السياسي المصغر في مقدمة الشهادات الاسرائيلية التي تؤشر الى حصول " كي الوعي "الاسرائيلي، اذ قال في تصريح لإذاعة الجيش "إن إسرائيل ذهلت من عدم قدرة الجيش على إخضاع حزب الله بسرعة وسلاسة وبشكل قاطع ".وأضاف بن إيعزر "لم يعتقد أي واحد في الحكومة أن ذلك سيستمر كل هذا الوقت، وأن يكون لحزب الله نفس طويل بهذا الشكل، وفي الحقيقة كنا نعرف عن كمية السلاح الكبيرة التي بيد حزب الله، ولكننا اعتقدنا أن ضربة لبيروت ستحل المشكلة".

ومن النظري الى التطبيق على الأرض اللبنانية، فقد اعلنت " اسرائيل "الحرب على لبنان في الثاني عشر من تموز 2006 بهدف الاجهاز على حزب الله والانتقال الى سوريا وايران..غير ان حسابات الحقل لم تأت على قدر حسابات البيدر في الاستراتيجيات الحربية الاسرائيلية والاميركية والرجعية العربية فانقلبت الامور

والاستراتيجيات والاهداف رأساً على عقب فكان ان واجهت ما يسمى "اسرائيل العظمى" اعظم اذلال عسكري في تاريخها ف. "اسرائيل واجهت اعظم اذلال عسكري في تاريخها في عدوانها على لبنان..وخسارتها مؤكدة"، هذا ما كتبه الخبير الامريكي بريت ستينغر في صحيفة" وول ستريت جورنال "الامريكية .وأضاف " تحدث الاسرائيليون عن كسر حزب الله قبل ان يتحول الحديث عن طرده من منطقة الحدود..ومن ثم الى الحد من قدراته وصولاً الى الحديث عن تأسيس قوة متعددة الجنسيات تقوم بحراسة الحدود ".واستخلص الكاتب " ان اهداف اسرائيل اصبحت اقل طموحا فضلا عن عجزها عن تنفيذ المهمة ."

وإذا ما أضفنا الى ذلك شهادة أمريكية أخرى نتحدث عن الخسائر العسكرية الاسرائيلية، فان لهذه الشهادة اهمية متميزة لكل الاعتبارات المعروفة .. فقد كشف تقرير ديبلوماسي اميركي تسرب بعض عناوينه وتفاصيله الى هيئات ديبلوماسية حيث نقل الدبلوماسيون في لبنان عن زملائهم المعتمدين في " تل أبيب " أن قيادة اركان الجيش الاسرائيلي قدمت معلومات لحكومتها حول الخسائر البشرية والآلية التي تكبدها الجيش الاسرائيلي خلال المواجهات مع حزب الله في لبنان. وتشير أرقام التقرير ان الاسرائيليين خسروا منذ 12 تموز الى 7 آب فقط 343 جندياً قتيلاً و 617جريحاً من مختلف الألوية المدرعة والمشاة والميكانيكية في خطوط الحرب او في الخطوط الخلفية حيث تساقطت الصواريخ على مواقع عسكرية متعددة بدءاً من مستوطنات الشمال حتى وسط فلسطين المحتلة) حيفا، العفولة، الخضيرة الى طبريا وعكا).

ويقول التقرير الذي تداوله الدبلوماسيون في لبنان ان عدد دبابات «الميركافا» المحترقة في لبنان وفي المواقع العسكرية المستهدفة بلغ 118 دبابة محترقة، و 46 معطوبة ومصابة اصابات بالغة تطلب عملاً كبيراً لاعادة تأهيلها، فيما جرى احراق 96 ناقلة جند وسيارة جيب وجرافات عسكرية. ويتابع التقرير ان القوات الاسرائيلية على جبهة القتال استنفذت نسبة 90% من ذخائرها ما اضطر قيادة الاركان في الجيش الاسرائيلي لفتح مخازنها المقلدة منذ عشرات السنين لاستعمال الذخائر من صواريخ وقنابل وقطع مدفعية واستقدام دبابات وناقلات جند اضافية مع الاشارة الى ان العدد الحقيقي للجنود المشاركين في الحرب مع لبنان بين المشاركين والمنتشرين والمتجمعين في منطقة الشمال يقدر ب 40الف جندي من مختلف الألوية والقطاعات بينهم خمسة عشر الفاً من جنود الاحتياط.

7- صدقية سماحة الامين العام تقتل:

إحدى أهم الوسائل القتالية التي كانت في حوزة المقاومة عام 2006 ، تمثلت في سماحة الأمين العام لحزب الله، السيد حسن نصر الله. فهو في نظر الجميع سلاح فاعل ومؤثر وذو صدقية، يترقب إطلاقاته العدو قبل الصديق، وينتظر موافقه كمؤشر كافٍ بذاته للدلالة على الآتي. هذه هي حال الإسرائيليين عام 2006 ، وما زالت مستمرة، في موازاة تدني صدقية قادتهم، وتراجع مكانتهم الوطنية والاخلاقية .

في التسريبات التي سبقت حرب تموز عام 2006 ، وتلك التي أعقبها، ظهرت جملة دراسات وأبحاث داخل المؤسسة الأمنية الإسرائيلية وخارجها، بما يشمل مراكز بحثية تُعنى بالدراسات الاستراتيجية في تل أبيب، ركزت على شخصية الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله وكاريزمته الخاصة والمميزة، وكونه سلاحاً فتاكاً في أيدي الأعداء، لا يقلّ فاعلية لجهة النتيجة، عن الترسانة الصاروخية الموجودة في حوزة الحزب.

لقد امتلك سماحة السيد سلاح حرب نفسية مبني على قدرات ادراكية فريدة من نوعها تأسست على الخبرة التفصيلية بالعدو وقدراته ونقاط قوته وضعفه، في موازاة إدراكه معنى ومدى اهمية الحروب النفسية وفاعليتها . وهذا الإدراك لا يرتبط بالتأثير في جمهوره في لبنان والعالمين العربي والإسلامي وحسب، بل تأثيره» السلبى من ناحيتها («يمتد بكاريزمته إلى الداخل والوعي الإسرائيليين، بما ينسحب على الجمهور والمستويات القيادية، في المجالين السياسي والعسكري.

إحدى هذه الدراسات، دراسة أعدها رئيس أركان الجيش الإسرائيلي السابق غادي أيزنكوت، كرسالة ماجستير أكاديمية، جرى التطرق لها في سياق استعراض مستوى فهم ايزنكوت للعدو الرئيسي لإسرائيل في الجبهة الشمالية. الدراسة التي نشر عنها توصيف عام، تأتي ضمن سلسلة دراسات جرى العمل عليها في السنوات الماضية، واعتنت وبحثت في شخصية السيد حسن نصر الله وكاريزمته، وكونه جزءاً من المعركة على الوعي إلى جانب المعركة العسكرية التي يخوضها مقاتلو المقاومة .بحسب صحيفة يديعوت أحرونوت، هذه الدراسة هي إحدى أهم ميزات أيزنكوت حيال لبنان والتهديد الكبير الذي يمثله حزب الله على إسرائيل، إذ تتعلق بدراسة وتحليل شخصية أهم قائد لدى العدو وتحديداً ما يتعلق بأدائه عبر تحليل خطاباته العلنية، في محاولة لدخول رأس العدو.

أولى الكتابات البحثية حول كلمات نصر الله ومكانتها وتأثيرها خلال حرب عام 2006 ، مع تشديدها على أن ظاهرة نصر الله وتأسيساتها وتمركزها في الوعي الجمعي للإسرائيليين تعود إلى ما قبل الحرب بسنوات، تتمثل في البحث المنشور بعد أسابيع على وقف إطلاق النار، في دورية العين السابعة) «العدد 64 أيلول (2006) ، المجلة المتخصصة التي تعنى بنقد وتقويم الإعلام العبري وكتاباته. الكاتب، تسفي برئيل، معلق شؤون الشرق الأوسط في صحيفة» هآرتس»، يشير إلى الآتي:

"يمثل حسن نصر الله لدى الإعلام العبري وفي وعي الجمهور الإسرائيلي، ثلاث شخصيات مختلفة: عدو مرّ وقائد جبهة الكاتيوشا؛ خبير في الشؤون والتدابير العسكرية؛ وخبير في المجتمع والجيش الإسرائيليين. وكما فعل القادة والجمهور اللبناني والعربي في انتظار خطاباته، فعلت أيضاً القيادة والجمهور الإسرائيليين، بما يشمل المعلقين في الإعلام العبري (...). ويبدو أنه لم تحظ أي حرب في العصر الحديث، بما حظيت به الحرب الأخيرة، من خطب وكلمات، على لسان نصر الله، مع غنى بالوقائع والتحليلات والتفسيرات والقيم المضافة: وهو ما كان موضوع تحليل على رأس سلم الاهتمام الخبري؛ وأهمية فائقة أيضاً للدلالة على وقائع وتطورات الأيام المقبلة للحرب."

يضيف هرئيل في بحثه "أن" ظاهرة نصر الله «الإعلامية لم تكن لتكون موجودة بهذه الكيفية والصيغة، من دون بنائها على مدى سنوات في الإعلام الإسرائيلي. حاز نصر الله صفة» الشخص الموثوق بكلامه، وفي كلامه انعكاس واضح على مئات الآلاف من الإسرائيليين وعلى إسرائيل برمتها. وبعيون الكثيرين، يعد هذا الرجل، وعن حق، من طرد إسرائيل من لبنان وأوجد منظومة ردع هائلة في قبالتها.»

وفي التدليل على مكانة سماحة السيد في الوعي الإسرائيلي، يقول هرئيل: باختصار، نصر الله وللمرة الأولى يحطم قاعدة متفقاً عليها لدى الجمهور والإعلام الإسرائيليين: زعيم عربي لا يتجح؛ لا يكذب وكلامه دقيق، هذه الصفات هي التي أرعبت مسؤول سلطة البث الإسرائيلي في زمن الحرب، عندما سارع لمنع تأثيرات كلمات السيد نصر الله وخطبه خلال أيام المعارك، وإخضاعها للرقابة، باعتبارها سلاحاً فعلياً في أيدي العدو. ومن ضمن ما نُشر في إسرائيل، وبما يرتبط أيضاً بتأثيراته في حرب عام 2006 ، يبرز بحث نشر في فصلية الجمعية الإسرائيلية للإعلام» مسكروت مديا - («خريف 2012 ، تحت عنوان» الظهور التلفزيوني لحسن نصر الله خلال حرب لبنان الثانية. «عمد البحث إلى دراسة خطب سماحة السيد نصر الله السبعة خلال

الحرب، وتحديداً ما يتعلق برسائله اللفظية وغير اللفظية، مع التشديد على الأخيرة لكونها أكثر تأثيراً في وعي المتلقي، التي تقرن اللفظ بالحركات وتعابير الوجه الدالة على الصدقية والصرامة والحزم والمعرفة. البحث الأكاديمي، الطويل جداً، مليء بالمعطيات والخلاصات والرسوم البيانية، الدالة على مدى تأثير خطب السيد نصر الله وفعاليتها في الوعي الإسرائيلي، وتحديداً في حرب لبنان الثانية 2006 ، كسلاح فعال إلى جانب المعركة العسكرية.

اللافت في البحث، هو ما يتعلق بجملة الأسباب التي بحثها المؤلفون في مقدمته، والتي أدت إلى تموضع السيد نصر الله كشخصية موثوقة وذات صدقية لدى الإسرائيليين، مغايرة للقادة العرب الذين أفوهم في السابق والحاضر. أحد هذه الأسباب يعود إلى إرادة إسرائيلية لدى وسائل الإعلام العبرية، لتثويبه صورة السيد نصر الله نفسه وضرب صدقيته ومكانته لدى الجمهور الإسرائيلي، الأمر الذي ارتدّ سلباً في نهاية المطاف على المخطط الابتدائي للتثويبه، وأدى إلى تعزيز الصورة عنه. تأثير الظهور المتكرر التلفزيوني، بالصوت والصورة والأهم الحركات التي يبدئها خلال كلماته، أدى لاحقاً إلى تعزيز صورته أكثر، خصوصاً مع اقتران كلماته بأحداث وتطورات لاحقة دلت على صدقيته. هذا ما حدث قبل الحرب، في سنوات ما قبل عام 2000 وما أعقبه، وخلال الحرب الأخيرة 2006 ، وصولاً إلى الآن.

البحث في الدراسات الإسرائيلية عن صورة سماحة السيد نصر الله وتأثيرها في الوعي الإسرائيلي، يطول إلى الحد الذي لا ينتهي معه. والعينات الواردة هنا، مأخوذة من أبحاث نشرت في إسرائيل، رغم أن الكثير منها لم ينشر وبقي متداولاً في المؤسسات والمحافل المختصة بالمواجهة الدائمة بين إسرائيل وحزب الله، كما هو حال الدراسات الصادرة والمتداولة في المؤسسة الأمنية الإسرائيلية وأكاديمياتها المتعددة.

ان صورة السيد نصر الله، بعد 20 عاماً على الانسحاب من لبنان عام 2000 ، و 14 عاماً على حرب عام 2006، ما زالت تحفر في الوعي الإسرائيلي، جمهوراً وقادة ومؤسسة أمنية. ولا يمكن الإنكار أن صانع القرار في تل أبيب يعي هذه الظاهرة وأضرارها، وهو يعمل عليها بشدة ضمن هدف تقليص مفعولها وتأثيرها السلبي، لكن ما بين الخطط الموضوعة وواقع صدقية السيد نصر الله سباق، يبدو جلياً أن الغلبة للثاني. فمعظم الكتبات الاستراتيجية الإسرائيلية، الذين عملوا على هذه الظاهرة ومحاولة الحد منها، أبدعوا في توصيفها، وتحذروا عن ضرورة معالجتها، لكنهم عجزوا عن بلورة استراتيجيات مواجهة توصل إسرائيل إلى النجاعة

والهدف المطلوبين في هذه المواجهة، رغم كل الإمكانيات المتوافرة لديها. وقد صدرت عدة أبحاث ومقالات في إسرائيل وخارجها، حول ظاهرة السيد نصر الله، بالمعنى المشار إليه. ومنها عينة، وردت في مقالة نشرت في «نيوزويك» الأميركية بتاريخ (18-10-2017)، لمدير برنامج الشؤون العسكرية والاستراتيجية في مركز أبحاث الأمن القومي في تل أبيب، العقيد احتياط غابي سيبوني، الذي بحث في ضرورة «مواجهة خطاب السيد (نصر الله المعرفي، وتأثيره السلبي في الجمهور والجيش الإسرائيليين، في زمن الحرب واللاحرب». ويشدد سيبوني، على وجوب أن تبلور المؤسسة الأمنية الإسرائيلية، استراتيجية خاصة لتعزيز وتحسين الجمهور الإسرائيلي في الداخل حيال الجهود المبذولة من قبل حزب الله وأمينه العام تحديداً، كجزء لا يتجزأ من الاستعداد للمواجهات العسكرية، حيث ستكون «العناصر المعرفية» التي يقودها نصر الله، خلال الحرب وقبلها، دور مهم جداً في المواجهة المقبلة، بحيث لا تقل أهمية عن الجهد الحربي نفسه. ويؤكد سيبوني ما يسميه «القتال ضد إسرائيل من دون نيران»، في توصيفه للمعركة على العقل والوعي، حيث هي معركة على الإدراك وعلى التأثير، وهي السمة التي يتسم بها خطاب السيد نصر الله. على هذه الخلفية، يطالب الباحث بأن يفهم مبلورو السياسات والاستراتيجيات في إسرائيل أن العقل بات جزءاً أصيلاً من معركة القرن الواحد والعشرين، والأمن المعرفي هو الآن ضرورة ملحة للأمن القومي. ان إشارات سيبوني وتوصيفاته، والمطالبات والإلحاح عليها في مقالته، والتنسيق في اختيار عباراته، ربطاً بمكانته وسعة اطلاعه على السياسات والاستراتيجيات المتبناة والمفعلة من قبل الجيش الإسرائيلي، تشير كلها بشكل واضح لا لبس فيه إلى أن إسرائيل حتى الآن، بعد مرور 14 عاماً على حرب عام 2006، ورغم إدراكها خطورة صورة السيد نصر الله المحفورة في العقل الإسرائيلي، إلا أنها لم تجد حتى الآن «علاجاً» لهذه الظاهرة وتأثيرها السلبي، كسلاح ثانٍ لدى حزب الله، يتكامل مع الوسائل القتالية والجهود العسكرية، قبل المعارك وخلالها، وأيضاً في أعقابها.

8- الأسئلة الكبرى المستعصية:

على خلفية المعطيات من الخسائر العسكرية الاسرائيلية غير المعلنة اسرائيلياً، مضافاً إليها الخسائر الفادحة على كل المستويات الاخرى، تواصلت الاسئلة الكبرى المتفجرة حول الحرب الاسرائيلية على حزب الله،

ونتائجها، ومن الذي انتصر، ومن الذي هزم فيها، وبقيمتطروحة على كل الأجنات الإسرائيلية والعربية والإمريكية والأوروبية وغيرها؛ فالعالم باجمعه تابع مجريات حرب لبنان الثانية ونتائجها أما لجهة الدرس والعبرة أو لجهة الانتصار لـ"إسرائيل" أو لحزب الله، ولعل من أهم عناصر قراءة هذه الاسئلة والأجوبة الملحة عليها تبقى القراءات والتقديرات الاسرائيلية نفسها الى حد كبير، خاصة إن كانت على لسان نخبة من جنرالاتهم ومحلليهم وباحثيهم المختصين. فشبّه الاجماع الاسرائيلي يفيد هنا في هذا السياق بـ"أنّ حزب الله لم ينكسر" و"إنّ إسرائيل منيت بهزيمة حارقة وصعبة على الصعيدين العسكري الردعي والمعنوي على نحو خاص و"أنّ الجبهة الداخلية الاسرائيلية أصيبت هي الاخرى بضربات مؤلمة" و"انهم تالموا كما تالم اللبنانيون والفلسطينيون... إلخ .

كما أنّ نخبة" الجيش الاسرائيلي تسقط في جحيم بنت جبيل؛ فالجنود الاسرائيليون العائدون من الجبهة في لبنان يقولون عن مقاتلي حزب الله: جيش مقاومة بارع، متحضر، لا يرحم، انهم مقاتلون لا يخشون الموت، والجنود الإسرائيليون الذين رجعوا من جبهة القتال يتحدثون عن المعارك التي دارت هناك قائلين: إنهم جيش مدرب، ومستعد، ومحاربه لا يخافون الموت.

والجيش الإسرائيلي، وصف مقاتلي حزب الله بأنهم لا يخافون أي شيء، ومن الصعب هزيمتهم! وضباط وجنود اسرائيليون قالوا أيضا: إنهم/ أي مقاتلي حزب الله /يختبئون في خنادق تحت الأرض يصل عمقها إلى طابقين أو ثلاثة وهذا يدل على أن حزب الله خطط لهذه المعركة منذ عدة سنوات .ومعظم الجنود قالوا إنّ "مقاتلي حزب الله يخرجون من بين الأنقاض يطلقون النار عليهم من رشاشاتهم، وأحياناً يخرجون من بين الأشجار يطلقون صواريخ مضادة للدبابات، وصواريخ RBG ، و أحد الجنود قال "لم نكن نتوقع بأنهم يقاتلون بشراسة، إنهم يتفوقون علينا في أرضهم . "وجندي آخر قال:"مقاتلو حزب الله يرتدون زيا أخضر مغطى بغصون الزيتون لإرباكنا و إحارتنا حيث إنّ الجنود الإسرائيلييين يلبسون الزي نفسه "وبعض الجنود أيضا قالوا : جنود حزب الله يختبئون في خنادق حصينة، وينتظرون الوقت المناسب للخروج لمهاجمتنا. وفي الختام نوثق هنا أنّ الجيش الصهيوني الذي روج عنه على مدى عقود أنه" الجيش الذي لا يقهر" قد هزم وقهر وتقهقر على نحو لم يخطر ببال الآباء المؤسسين للدولة الصهيونية.

9- خاتمة:

إنّ السلاح الذي يتم استعماله في جبهة الوعي ليس سلاحاً تنفيذياً بالمعنى المألوف. أي أن الأعيرة التي يتم إطلاقها من قبل الطرفين في هذه الحرب ليست أعيرة حية بل هي الكلمة المكتوبة، الخطاب، الفيلم التلفزيوني، الدعوة التي يوجهها الخطيب في المسجد وغيرها. إن هذه الأسلحة لا تسبب القتل البدني المحسوس كما تسبب ذلك الرصاصات والصواريخ الحقيقية، غير أن إصابتها سيئة ولا يقل تأثيرها عن الأسلحة الحقيقية. إنها تؤثر على الدوافع، على قوة الإرادة وعلى التصميم من قبل الطرفين للمضي في المعركة القائمة على الرغم من الصعوبات والاختناقات. إن الاستعمال الرشيد لهذه الأسلحة "يمنح قيمة إضافية، وفي بعض الأحيان أعلى وأكثر، للأسلحة الحقيقية المستعملة في القتال الميداني .

يوماً بعد يوم يثبت العدو قبل الصديق، أنّ إحدى أهمّ وسائل المواجهة مع العدو الصهيوني، والتي تبرع المقاومة الإسلامية اللبنانية في استخدامها، هي خطابات الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله، وهذا السلاح استطاعت المقاومة استثماره منذ ما قبل العدوان الإسرائيلي عام 2006، وزاد هذا السلاح فعالية في داخل الكيان الغاصب، حيث أصبح قادة الكيان ومجتمعهم المفكك، ينتظر إطلالة السيد لتسجيل مواقفه وكلماته، والانطلاق منها كأدلة ذات صدقية لما هو آت في الأيام المقبلة على الكيان، ما يدلّ على نجاح الحرب النفسية والناعمة التي يشنّها الحزب، في موازاة انخفاض وتدني مستوى صدقية قاداته، بل وتراجع مكانتهم في داخل الشارع والأوساط السياسية .

جديد هذه الحرب، ما حققته المقاومة من انتصار واضح ضمن فريقها المتخصّص بالحرب النفسية، في ما يخصّ ما أسماه الكيان عملية درع الشمال، وبالذات بعد إعلانه انتهاء هذا النشاط في شمال فلسطين المحتلة، حيث خرجت علينا صحيفة «معاريف» نقلاً عن العميد احتياط ورئيس أركان المنطقة الجنوبية سابقاً في الجيش «الإسرائيلي» «تسفيكا فوغل»: صمت السيد حسن نصر الله مقلق جداً، نحن نرغب جداً بسماع ما سيقول وأن نسمع منه هل نحن أمام معركة، فنصر الله موجود هناك لأنّ لديه هدفاً وهو إخراجنا من هنا . صمت نصر الله يمكن أن يدلّ على التخطيط لأمر جديدة أو محاولة لإحصاء الضرر، لا اعتقد أنّ حزب الله طرف سلمي، فهو يحاول على مدى سنوات الوصول إلى وضع كاسر للتوازن ويحاول أن يشكل تهديداً وجودياً على الأقلّ لجزء من «إسرائيل».

بالطبع عند تحليل ما ورد في الصحفية المذكورة، نعلم تماماً أنّ ما شكلته خطابات السيد، والحرب النفسية التي يشنّها حزب الله، تأتي ضمن مفهوم الحرب النفسية والحرب الناعمة، ذات أبعاد وحمولات ودلالات وأغراض متعدّدة، هي حرب قوامها برمجة الوعي في داخل الكيان الصهيوني، وهي حرب الأفكار التي حرص القائمون عليها في المقاومة على أن تستحوذ على العقول إنّ كان لقادة الكيان أو لجمهوره، واستلاب الإرادة في الفعل، وتحقيق أيّ مكاسب، والعمل حتى على الذاكرة والخيال، هي حرب فكرية، اعتمدت على تحطيم المرجعيات السياسية والعسكرية والأمنية في كيان الاحتلال، وحتى القيم الحاكمة فيه، وهي حرب باردة وحرب أعصاب وتغيير السلوك، ما جعل القادة في الكيان يصرخون بأعلى صوتهم، عند استخدام الحزب، تكتيك الصمت الذكي الحرفي، والغموض البناء، ضمن منهجية عدم إعطاء العدو أيّ معلومات مجانية، ضمن ضوابط وقواعد حاكمة في دوائر المقاومة، إذ لا فوضى في إعطاء المعلومات، ولا تضارب في المواقف، ودراسة واقعية وسياسية للإطلاقات الإعلامية لسماحة الأمين العام، وحسابات دقيقة لكمية المعلومات التي سترد في خطابه، واتباع أسلوب المعرفة على قدر الحاجة، ما يؤدّي إلى إحباط أيّ أنشطة ضمن الحرب النفسية للكيان الصهيوني، وتصل حتى إحباط الكثير من العمليات الاستخباراتية والأمنية التي يشنّها بشكل لحظي على المقاومة، هذا كله كما نعلم يكون تحت رعاية ومعرفة سماحة الأمين العام السيد حسن نصر الله، وتكتيك الغموض البناء والصمت الذكي استخدم أيضاً في عملية التفاوض حول أسرى كيان الاحتلال لدى المقاومة في عملية الرضوان، والآن يستخدم من جديد، ويحسب لقادة الحرب النفسية في المقاومة هذا الإنجاز، فهو ليس بالأمر السهل ولا العادي، انها مهارات تتطلب معرفة عالية بتفاصيل العدو اليومية، وحتى طبيعة تفكيره وردود أفعاله، وتوازي هذه المهارات الجهد الحربي والعسكري للحزب، ما جعل قادة الكيان يلصقون آذانهم بالأرض، تحسباً لأيّ صوت جديد ناتج عن أيّ حركة آلية أو حفريات أو وقع خطى مقاوم، وما يدفعهم لحساب كلّ كبيرة وصغيرة، ولا ننسى أنّه بحركة أصبع سماحة السيد، يحرم المستوطنون ضوء الشمس لأسابيع.

إنّ براعة حزب الله في استخدام تكتيكات الحرب النفسية، والاستفادة من خطابات سماحة السيد حسن نصر الله، والتي نجحت في إرباك العدو وكبي وعي جمهوره وقادته، كانت محط إدارة مراكز البحث، حيث أعدت دراسات عديدة في كيان الاحتلال تتحدّث عن سلاح خطابات السيد نصر الله، وإحدى هذه الدراسات، بحث

أعدّه غادي أيزنكوت رئيس أركان الجيش «الإسرائيلي»، كرسالة ماجستير، حلل فيها شخصية سماحة السيد حسن نصر الله وكاريزميته، وكونه جزءاً من المعركة على الوعي في كيان العدو إلى جانب المعركة العسكرية التي يخوضها مجاهدو المقاومة، وذكرت صحيفة «يديعوت احرنوت» «أنّ هذه الدراسة حاول فيها أيزنكوت بحسب وصف الصحفية» الدخول الى رأس العدو «بعد محاولته تحليل خطابات السيد نصر الله العلنية، وحتى الصحافة الأميركية كانت لها أبحاثها أيضاً، والتي نقلت عن عدد من قادة الكيان، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما ورد في مقال نشرته «نيوزويك» الأميركية في 18/10/2017، نقلاً عن العقيد احتياط غابي سيبوني مدير برنامج الشؤون العسكرية والاستراتيجية في مركز أبحاث الأمن القومي في تل أبيب، الذي طالب بضرورة مواجهة خطاب السيد نصر الله المعرفي، وتأثيره السلبي في الجمهور والجيش الإسرائيليين، في زمن الحرب واللاحرب.